

بين التاريخ والأدب

للمحرموم الدكتور عبد الرزاق صمبده

رئيس قسم اللغات

قمت بتدريس الأدب العربي في كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، وفي كلية البنات جامعة عين شمس ، ما يقرب من عشرين عاما ، واتصلت في أثناء ذلك بالتاريخ وكتبه ، ولفت نظري ما هنالك من تفاعل بين التاريخ والأدب وتأثير كل منهما في الآخر . فقد رأيت التاريخ يصنع الأدب ويوجهه . ويوحى الى الأدباء ، ويسيطر على أدبهم ، ورأيت الأدب يصنع التاريخ ، فيقيم دولا ، ويهيج فتنا ، ويخمد أخرى ، ورأيت يعمد الى التاريخ فيستعير منه موضوعاته . ويستمد منه أحداثه لينسج منها أو حولها صورا من صورهِ كالمسرحيات أو القصص أو الروايات أو شبه ذلك .

وقد رأيت اليوم أن أسجل في هذا المقال ما وقعت عليه من تفاعل بين التاريخ والأدب في حدود التجربة التي مرت بي في خلال عملي مدرسا للأدب ثم أستاذا للأدب والنصوص .

وقبل أن أخط سطورا في هذا الموضوع ، أرى من الواجب أن أشير الى أن هذا الموضوع قد كتب بإيجاز في كتاب التوجيه الأدبي (المطبعة الأميرية سنة ١٩٤٠) تحت عنوان الأدب والتاريخ ص ١١٩ . ولا شك أنني قرأته ولكنني وجدت الجهد الذي بذلته والتفاصيل التي وصلت اليها أكثر بكثير مما هو مطور هناك . فضلا عن أنني بذلت جهدا ، ووصلت الى حقائق ، وعرفت شواهد يعز على أن أهملها أو أدفنها ، وفضلت لها أن ترى النور على صفحات هذه المجلة .

فالتاريخ هو قصص منتظم لنشأة أمة من الأمم وتطورها .

صلة التاريخ بالأدب :

وكتابه تعتبر فناً من أقدم فنون النثر الأدبي . وقد اعتبره اليونان فناً من الفنون الأدبية التي توحى بها آلهة من الآلهات يسمونها عندهم كليو CLIO . ويظهر أنه كان شعرا أولاً حينما بدأ الناس يقصون أنباءهم ، ويتحدثون بقديهم ويخترعون لأنفسهم قديما لا صلة بينه وبين الحقائق الواقعة ، ولكنهم مع ذلك كانوا يؤمنون به إيماناً قويا صادقا لما كانوا عليه من السذاجة ، وشدة التأثر بالخيال ، فهم قد وصلوا أنسابهم بالآلهة ، وأضافوا لأبطالهم من الأعمال ما لا يصدر عن الناس .

ومن هذا النوع من القصص نشأت الأساطير والسير التي كانت ترضى عواطف الناس وخيالهم وعقولهم الناشئة وتحدث لهم من أجل ذلك متعة فنية ساذجة .

وكانت هذه الأخبار تلقى على الناس شعرا منظوما قد تصحبه الموسيقى . وكان الشعراء يحتفلون بهذا الشعر من قرية الى قرية ، ومن مدينة الى مدينة . بل من اقليم الى اقليم . ينشئونه كلما هموا بالانشاد أمام الجماعات . ثم كثر ما أنشأوه من ذلك . وأعجب الناس به فحفظه منهم أفراد واتخذوا انشاده والتنقل به صناعة يعيشون منها ، ويعتمدون عليها في كسب الحياة .

وعلى هذا النحو نشأت طائفة من القصص الشعرية ، لم تكن تخلو منها حياة أمة من الأمم القديمة التي تحضرت فيما بعد وقد حفظ من ذلك الألياذة والأودسة عند اليونان . ونحن نعتمد على هذه القصص في تصوير الحياة الأدبية والفنية والتاريخ السياسي والاجتماعي لهذه الأمم في عصورها الأولى .

وتقدمت الحضارة وعظم السلطان في بعض الأمم ، فأقيمت الصروح الضخمة، وسجلت الأعمال العامة في نقوش مطولة ربما تكثر فيها المبالغات ، ويشد فيها الغلو ، ويصطنع فيها الخيال ، وقد بقيت لنا مقادير كثيرة من هذا الآثار المكتوبة وهذه الكتابات المسجلة على المعابد كانت مصدرا دقيقا من مصادر التاريخ

أيضا يضاف الى المصدر الآخر وهو القصص الشعبية أى أنه أصبح للتاريخ القديم عندنا مصدران يتصلان بالأدب اتصالا وثيقا ، أو هما من صميم الأدب ، أحدهما شفوى روى ، والثانى مسجل مدون فى لغة أدبية •

وكان اليونان من الأمم التى سجلت تاريخها فى هاتين الصورتين الأدبيتين وكذلك قدماء المصريين •

ثم أخذت كتب التاريخ تظهر فى كلام منشور لا يخلو من تأثير الشعر ، فتكثر فيه الأساطير ويعتمد على الخيال كثيرا ولم يخل أسلوب تلك الكتب من محاولة الوزن والتنغيم الموسيقى • وكانت هذه الكتب وهذه القصص ربما قرئت على الناس كما يشد الشعر • وإذا رجعنا الى كتب كبار المؤرخين عند اليونان والرومان وجدناها تعتمد فى مصادرها على الأدب • فكان هيرودوت يعتمد على الشعر القصصى فى تاريخ اليونان ، وعلى أخبار الرواة والآثار المكتوبة وغير المكتوبة •

كتاب التاريخ لهيرودوت :

وقد عُد كتابه متعة فنية رائعة حقا ، نجد فيه اللذة التى نجدها فى قراءة الشعر القصصى ، وتتجلى قيمة الكتاب من الناحية الأدبية الخالصة فى أنه يقرأ فى لغته الأصلية ، أو مترجما فتكون قراءته متعة لا يعرف عنها سأم ولا ملل • وأشهر مؤرخ يونانى بعد هيرودوت هو تيوكوريدس • ويمتاز كتابه من الناحية الأدبية بأن مؤلفه أعرض عمدا عن رواية النصوص الدقيقة لما كان ينطق به الخطباء والزعماء والقادة ، وتكلم هو على ألسنتهم بما يصور مواقفهم وآراءهم ، فأنطقهم بغير ما قالوا ، وأضاف اليهم من الخطب الطوائى والقصار ما لم يصدر عنهم ، وهى خطب منحولة • ولكنها تصور آراء أولئك الزعماء والقادة تصويرا صادقا •

ومصدر هذا أن تيوكوريدس عاش فى عصر التمثيل والخطابة والحوار ، ورأى الناس من حوله يذهبون هذا المذهب فينطقون الزعماء والقادة والأبطال

وأفراد الناس بألفاظ ينشئونها لهم انشاء ويحملونها عليهم حملا . فأشخاص
القصة التمثيلية يصورون الأبطال والزعماء ، وينطقون على ألسنتهم بما يصنع لهم
الشاعر اذا أنشأ القصة . والمتخصصون أمام القضاء يقولون كلاما قد أعده لهم
المحامون اعدادا فحفظوه بعد ذلك حفظا ، وهم يتلونه تلاوة أمام القضاء .

ومهما يكن من شيء فان مذهب تيوكوريدس أنشأ التاريخ فنا أدبيا رائعا .
وأفاض عليه حيوية ، وجعل قراءته متعة لذينة ، وهذه الخطب التي أنشأها
تيوكوريدس لم تكن على مثال الخطب التي كانت تلقى في المجالس والمجتمعات ،
لم تنشأ لتلقى فتنهم فهما قريبا يسيرا ، وانما أنشئت لتقرأ على مهل وفي عزلة ،
فلها من الخطب شكلها ومظهرها ، ولكنها في الحقيقة كتابة فنية لا خطبة ،
اعتمدت على العقل والمنطق والروية أكثر مما تعتمد على الخيال والعاطفة ،
واتجهت الى العقل والتفكير أكثر مما تتجه الى الحس والشعور ، وكانت بذلك
مثلا رائعا للرزانة والرصانة والاعتدال . وقد ذهب المؤرخون بعد ذلك مذهب
تيوكوريدس أثناء العصر القديم كله ، فأنطقوا الأشخاص بما لم يقولوا ، ولكن
قليلا منهم استطاع أن يبلغ من الاجادة والدقة ما بلغه تيوكوريدس . ولم يخالف
هذه السنة من المؤرخين الذين جاءوا بعده الا بوليبيوس . كان مذهب
تيوكوريدس أن ينشئ الخطب والمقالات الطوال وينحلها الساسة والقادة .
وكان يتحرى وجه الحق في تصوير ما كان يريد تصويره من آراء القادة
والساسة فكان لفظه منحولا ، ومعناه صحيحا . وجاء المؤرخون بعده ففتنهم
الفن فتونا ، واخترعوا الخطب والمقالات ألفاظها ومعانيها . ، وأضافوها الى
القادة والساسة في غير تحفظ ولا احتياط ولا تحرر للصواب . حتى كاد التاريخ
يكون أدبا خالصا ، متأثرا بالخيال أكثر مما يتأثر بالبحث والتحقيق ، ولكن
بوليبيوس ألغى هذه الخطب والمقالات الغباء من كتابه ، وألغى الأساطير
والإعاجيب .

كتاب التاريخ عند الرومان :

لم ينشأ التاريخ عند الرومان نشأة أدبية كما نشأ عند اليونان ، وسبب ذلك أن الآداب اللاتينية ظهرت في عصر متأخر بعد أن تقدمت حضارة الرومان وارتقت نظمهم السياسية والاجتماعية . فهذه النشأة عند الرومان لم تتأثر بالشعر القصصي كما تأثرت به نشأة التاريخ عند اليونان .

ولكن لما تقدمت الحياة الرومانية ، واتصلت الرومان بالمدن اليونانية في إيطاليا ثم ببلاد اليونان الحقيقية ثم بالدول الأجنبية الأخرى فكر الرومان في ماضيهم وعظمة بلادهم ، ورأوا كل هذا جديراً بالتسجيل وأن تؤلف فيه الكتب ، ولا سيما بعد أن قرأ المثقفون الممتازون من أهل روما ما أنتج اليونان من أدب وفلسفة وتاريخ .

وقد ذهب الرومان في العناية بالتاريخ مذهب اليونان كدأبهم في فنون الأدب كلها . فهم قد قلدوا كتاب اليونان وشعراءهم وخطباءهم ، وتأثروهم واتخذوهم لهم أساتذة واتخذوا آثارهم الأدبية نماذج يحاكونها .

كاتو ٢٣٤ - ١٤٩ ق.م :

من أشهر المؤرخين الرومان . وكان أدبياً خطيباً - أتقن اللغة اليونانية وآدابها ، وبرع في الخطابة السياسية والقضائية براعة جعلته مخوفاً مهيباً ، وقد شهد حروب روما مع هانيبال وغيرها من الحروب في صقلية . وكتب كتاباً ضخماً في تاريخ روما صور فيه نشأتها تصويراً دقيقاً . ولكنه ضاع كما ضاعت خطبه . ولم يبق من آثاره الأدبية إلا ما تحدث به النقاد الرومانيون الذين قرءوا هذه الآثار وأعجبوا بها عصوراً متصلة . وقد أثر تأثيراً قوياً جداً في أجيال الخطباء الذين جاءوا بعده واتخذوه لأنفسهم نموذجاً ومثلاً .

وكان له صديق شاعر يوناني عرفه في بعض أسفاره اسمه كنتوس اينوس ENNIUS وهو من يوناني إيطاليا ترجم عن عواطفه ومحبه لروما شعراً في اللغة اللاتينية . وقد طرق اينوس فنون الشعر المعروفة في ذلك الوقت فمدح وهجا

ووضع القصص المحزنة والمضحكة • وكتب رومانيا تاريخاً بالشعر في ديوان ضخمة ذهب فيه مذهب هوميروس في النظم فاختر الوزن اليوناني للشعر القصصي ، ولكنه لم يذهب مذهب الخيال المطلق ، وإنما قيد نفسه بالدقة وإثارة الحق ما استطاع •

وكان إينوس يعتقد أن نفس هوميروس قد حلت فيه ، وأنه يعرب عن هذه النفس باللغة اللاتينية ويقول النقاد والقديما انه وإن قصر عن البراعة الفنية التي امتاز به شعر هوميروس ، فإنه قد أدخل في الشعر اللاتيني وزناً جديداً ، ونظم التاريخ الروماني نظماً رائعاً ، كان الناس يستحبونه ، ويعجبون به أشد الإعجاب •

ثم خمدت كتابة التاريخ بعد كاتو وإينوس لاعراض الرومان عن الفنون الأدبية وانصرفهم عنها إلى الحياة العملية في الحرب والسياسة والتجارة والزراعة والمال حتى جاء القرن الأول قبل المسيح ، فظهر في الأدب اللاتيني علمان من أعلامه ، كتب في التاريخ فبلغا حظاً عظيماً من الاجادة والافتان • أحدهما بوليوس قيصر والآخر سلوستوس SALIUSTUS .

قيصر :

ولد قيصر سنة ١٠٢ ، ومات سنة ٤٤ ق.م. وكان عظيماً في حياته وفي كل ما تولى من أعمال • وقد عنى به تاريخ الأدب ، لأنه كان من عظماء الرجال في الأدب ، وفي التاريخ خاصة •

وقد أقبل قيصر على الأدب منذ شبابه ، وكان من الخطباء البارعين ، لأنه اشترك في الحياة العامة وهو شاب ، ولم يقتصر نبوغه في الأدب على الخطابة ، بل تعداها إلى الجدل ، والحصومة السياسية والأدبية العنيفة ، وكان شاعراً لبقاً مترفاً ينظم شعراً جيداً رقيقاً ، وكان نحويًا لغويًا يؤلف في النحو واللغة أثناء سفره إلى بعض حروبه ، ثم هو بعد هذا كله مؤرخ من أبرع المؤرخين . لا في اللغة اللاتينية وحدها ، بل في كل اللغات التي كتب فيها التاريخ قديماً وحديثاً ،

فأثره في التاريخ أدبي تفخر به اللغة اللاتينية . وتستمتع به الانسانية المثقفة كلها على اختلاف العصور . كتب قيصر تاريخه بشكل مذكرات وصف فيها حروبه في غالية GOLLIA (فرنسا) ووصف فيها بلاءه في الثورة التي اتهمت به الى الدكتاتورية .

وقد فتن الناس في عصره وبعد موته بهذا التاريخ فتنة عظيمة ؛ وأسرع بعض الكتاب الى تقليده ؛ فألفوا الكتب في وصف حروبه ؛ ونسبوا اليه ابتغاء الرواج ؛ ولكنهم لم يخدعوا أحداً ؛ لأن تقليد قيصر لم يكن يسيرا .

أسلوبه :

وأهم ما يمتاز به أسلوب قيصر في هذا التاريخ أنه يروع براءته من التكلف وأناك تقرؤه فكأما تسمع لمتحدث يتحدث اليك في سهولة ويسر ، لم يتهياً لهذا الحديث . وهو مع ذلك يضع ألفاظه في أحسن مواضعها ، ويؤدى بها أصدق المعاني وأعظمها حظاً من القصد والصدق والاعتدال ؛ وحسن التفكير والتقدير ؛ وأسلوبه من السهل الممتنع يشق على الذين يريدون محاكاته ، ثم هو رائع بعد ذلك بما فيه من الصور التي يعرضها صاحبه لما رأى ولما أثار من حروب ، ولما كان بينه وبين خصومه من نزاع ، ولما دار بينه وبينهم من حديث .

وكتابته مملوءة بالحياة القوية ، يصف الموقعة من المواقع ، فترى الجيوش وهي تتحرك وهي تكرر وتفر ، ويصف خططه فيسوق الحديث على سجيته في لغة سهلة الى أقصى غايات السهولة موجزة ، بريئة من الفنون الرومانية التي ورثها الرومان عن اليونان . وقد اختلف قراؤه في أسلوبه ، ولكن الذين أعجبوا ببعده عن الزخارف والتكلف كانوا أكثر عدداً ، وكان شيشيرون لا يعدل بكتابة قيصر شيئاً .

سالتوس ٨٦ - ٣٦ ق م :

له كتاب في تاريخ روما ، يمتاز ببراعته في التصوير ، وفي تصوير الأفراد خاصة ، والتعمق الى دقائق النفوس ودخائل القلوب . في لفظ رائع وأسلوب

بارع ، وقد عد من عيوبه اسرافه في التكلف ، وتبع الغريب ، وتقليد الأسلوب اليوناني ، ولكن من أهم الأسباب التي أبرزت عيوبه معاصرته لقيصر والموازنة بينهما ، فبدا قيصر سهلاً غير متكلف .

وهناك مؤرخان آخران يصوران مجد الآداب اللاتينية في التاريخ هما « تيتوس ليفيوس » و « تاسينس » وأولهما يشبه هيرودوت ، والثاني يشبه ثيوكوديدس .

تيتوس ليفيوس ٥٩ ق.م - ١٨ م :

كتب أكبر كتاب في تاريخ روما منذ نشأت روما الى حروب أغسطس في اثنين وأربعين ومائة جزء ، وقد تلقفه الناس وقتلوا بكل جزء كان يصدر منه ، في ايطاليا ، وفي الأقاليم البعيدة ، حتى لقد قيل ان بعض الناس رحل من اسبانيا الى روما ليرى المؤرخ العظيم . وكفاه هذا من رحلته .

وإذا كان كتاب هيرودوت غناء منشوراً لمجد اليونان ، فقد كان كتاب ليفيوس اشادة رائعة بمجد الرومان ، وكان كل منهما مدفوعاً في كتابته بحبه لوطنه ، لا يتكلف الثناء والاطراء ، وقد خلق كل منهما قاصاً بطبيعته ، وكان حظه من قوة الخيال والشعر غير المنظوم أعظم من حظه من قوة العقل والميل الى التحقيق والتمحيص . فكثرت الأعاجيب والأساطير فيما كتب كل منهما ، وكان يساعد كلاهما على ذلك أنهما كانا يجدانها في حياة الشعب وأحاديثه ، وفيما صور الشعراء وسجل الكتاب ، وكان كل منهما يقبل ما يأتيه من ذلك ، ويصوره تصويراً أنيقاً ويستخرج العبرة منه ، ويجعله مصدراً للذة القلوب وفائدة العقل جميعاً .

بل ان كلاهما كان يندفع بحبه الشديد لوطنه الى ظلم التاريخ على غير عمد . يبالغ في الانتصار ، ويهون من أمر الهزائم أو يهمل هذه الهزائم أحياناً ، وكان هيرودوت من الذين أنشأوا النثر اليوناني ، وأول من طوله ومهد سبيله ، أما ليفيوس فقد جاء بعد أن تم تكوين النثر اللاتيني . بل بعد أن انتهى الى

أقصى غايات الرقى ، فظهر فيه قبصر وثيشيرون وغيرهما من الكتاب والخطباء ، فكانت مهمة الكاتب الرومانى أيسر من مهمة الكاتب اليونانى هيرودوت . كما كانت مصادر التاريخ من محفوظات الدولة ومن الشعر والخطب ، وكتب التاريخ ميسورة للمؤرخ الرومانى « ليقيوس » فكان ذلك سببا فى فراغه لفنه ، وكان كاتبا مجودا يعنى بأسلوبه عناية خاصة وينذهب به مذهب الخطباء فيتحدث الى أذواق الجماعات وقلوبها ، وكان يعنى باللفظ ويتخيرها كما كان يعنى بمخاطبة العاطفة والخيال ، وقد أنطق الخطباء والساسة بخطب وأقوال لعلمهم لم ينطقوا بها أبداً .

ناسيتوس ٥٤ - ١٢٠ م :

اشتغل بالمحاماة زمنا ، وألف فى التاريخ كتبا أولها تاريخ القائد الرومانى أجريكولا AGRICOLA ويعتبر هذا الكتاب آية من آيات البيان اللاتينى ، صور البطل تصويرا رائعا ، وصور حياته النفسية التى كانت تقوم على الجلد والصبر والثبات للخطوب .

وله كتاب ثان فى أخلاق الجرمانية ، وهو على ضآلة حجمه ، ذو قيمة ممتازة ، دقيق كل الدقة ، صادق فى التصوير كل الصدق .

وكان سيتوس يشبه تيوكودندس عند اليونان فى بعده عن القصص وزهده فى الأساطير ، وحرصه على الإيجاز وتعمقه للأشياء ، وتحريه للحق ، وكان قوى التصوير ، ولا سيما حين يصور الظلم والطغيان . ويعد ناستوس من أبرع كتاب النثر فى أى لغة من اللغات ، وهو من أجل هذا يكلف قارئه جهدا كبيرا ، ويمتد عقله ، ولكن هذا الجمال الرائع البادى فى كتابته كان آخر الضوء الذى يؤذن بضمود المصباح .

التاريخ عند العرب

لم يكن عند العرب فى جاهليتهم تاريخ مدون ، ولكنهم كانوا يعرفون ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاورهم من الأحوال المأثورة ، وأيامهم المشهورة ، وهى

كثيرها من أخبار الأمم القديمة بعضها صحيح ، وبعضها حديث خرافة ، وقد جاءنا منها شيء غير قليل في شعرهم ونثرهم وأمثالهم كقصة الفيل ، وحرب داحس والغبراء ، وحرب البسوس بين بكر وتغلب ، ويوم ذي قار بين العرب والفرس ، وحرب الفجار .

وجاء الاسلام وجاء في القرآن كثير من أخبار السابقين ، وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حافلة بجلال الأعمال ، وكانت غزواته ، وكان فيها من المسلمين أبطال ، وحارب خلفاؤه من بعده لنشر الدين والدفاع عن العقيدة ، وكانت لهم حروب في البلاد المجاورة لهم ، وبعد فترة من الزمن عنوا بتدوين ذلك كله عناية فائقة ، وظهر فيهم مؤرخون كثيرون حتى أحصى بعض المستشرقين مؤرخيهم في الألف السنة الأولى من الهجرة فبلغوا ٥٩٠ مؤرخاً ، عدا من فاته منهم .

وسلكوا في كتابة التاريخ طرقاً شتى ، فمنهم من ترجم حياة شخص ، ومنهم من ترجم جماعة ، ومنهم من ترجم للعلماء الذين من بلد واحد ، ومنهم من ترجم لمشاهير الرجال أو لطائفة خاصة من العلماء أو الوزراء أو الأمراء أو الشعراء أو الأدباء . ومنهم من ألف في فتوح البلدان ، أو كتب تاريخ قطر ، أو عصر أو بلد . ومنهم من أرخ تاريخاً عاماً كما فعل الطبري في كتابه ، أخبار الرسل والملوك ، وكما فعل ابن الأثير في كتابه المسمى « الكامل » .

وهكذا تنوعت كتب التاريخ عند العرب تنوعاً كبيراً .

وبدأ التاريخ الاسلامي بالعناية بالسيرة النبوية ، وقد تأثر هذا النحو من التاريخ بكتب الحديث من حيث الاسناد ومن حيث اللغة ، ونمط التأليف .

واتجهوا بعد ذلك الى تاريخ الحوادث الاسلامية كموقعة الجمل وصفين .

وقد بدءوا رواية هذه الأخبار شفويًا حتى جاء القرن الثاني فبدأ التدوين ومن الطبيعي أن تشمل هذه الكتب المدونة عدداً من الأساطير التي كانت متداولة عن الحوادث أو الأبطال أو المدن خصوصاً ما كان منها سابقاً لمصورهم

أو للإسلام . فهم قد يكتبون عن طوفان نوح فيروون روايات لا يقبلها العقل أحياناً ، وهم قد يتحدثون عن مأرب أو عن بلقيس ملكة سبأ ، أو عن فرعون ، أو عن كسرى ، أو عن ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، أو عن الاسكندر وبناء مدينته العظيمة «الاسكندرية» ؛ وهكذا فيضيفون الى التاريخ فصلاً ، ويخلعون على الملوك بطولات ، ويبنون تلك المدن العظيمة لبنة من فضة وأخرى من ذهب ، ويجعلون قصر بلقيس المرد أعجوبة الدنيا ، وهكذا تختلط الأساطير بالتاريخ الحقيقي .

التاريخ والأدب

مما يجعل قراءة تلك الكتب ممتعة غرابة الخيال وخصبه ، واتساع نواحي القصص وتنوعها ، ولكنهم ألتزموا الدقة فيما يتصل بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحروا الصحة فيما كتبوا عنه ، واتبعوا طريقة المحدثين في العناية بالسند وارجاع الأخبار الى مصادرها الأولى على نحو ما يفعله المحدثون في كتب الحديث . وكانوا يؤثرون نقل الأخبار كما وردت اليهم بعباراتها ، ومن أشهر المؤرخين المسلمين الأوائل محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣٠٢ هـ .

واتصاله الوثيق بالأدب يرجع الى كثرة ما روى فيه من الأساطير والقصص عن بدء الخلق ، وتاريخ آدم عليه السلام ، وأخبار بنى اسرائيل ، وملوك بابل ، والفرس واتصالهم باليونان والرومان . ويعد الكتاب مرجعاً أدبياً عظيماً لكثرة ما روى فيه من خطب ورسائل تتصل بالمصر الاسلامى والأموى وأوائل العصر العباسى ، وما ورد فيه من أشعار تتعلق بالوقائع والحروب والأبطال ، كما يعد تعبيره عن المعانى وتصويره للأحداث نموذجاً أدبياً راقياً من نماذج التعبير والتصوير فى العصور الاسلامية المختلفة .

وكثير من كتب التاريخ الاسلامى تهتم بالأساطير القديمة والأخبار الغريبة التى رويت عن الأمم السابقة أو الأنهار العظيمة ، أو المدن الكبيرة ، وقرأ

مروج الذهب للمسعودي تجد فيه من العجائب حكايات لطيفة سائفة تقرؤها وأنت لا تصدق ما تقرأ فيها من تلك الأساطير ، ولكنك لا تستطيع أن تسكت عن القراءة حتى ينتهي الفصل أو الباب ، فهي تأسرك بأسلوبها ، وتجذبك بعبارة أخبارها ، ولكن فيهم من كان يؤثر الدقة ، ويميل الى النقد والتمحيص ويعمل عقله فيما ينقل أو يروي مثل ابن خلدون .. بل ان هذا المؤرخ العظيم فلسف التاريخ حتى قيل انه وضع أصول علم التاريخ ، ولم يجعله مجرد سرد حوادث تعتمد على الرواية ، بل هو في نظره مبنى على أصول ، يعتمد على طبائع الأشياء وعلم الاجتماع والنفس ، ووضع مقاييس للأحداث يتحنن بها صحيحها من زائفها ، وقد كتب لتاريخه مقدمة مشهورة مלאها بأرائه ونظرياته القيمة فجاءت وحيدة فريدة في تاريخ التأليف الاسلامى ، حتى قيل عنه - بسبب هذه المقدمة - انه سابق الى وضع أساس « علم الاجتماع » .

وقد تحدث في المقدمة عن العلوم وأصنافها ، وكتب فصولا عن علوم اللسان العربى مثل علم النحو ، واللغة والبيان وعلم الأدب ، وبين أن اللغة ملكة صناعية ، وكتب فصلا في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان ، وأن هذا البيان لا يحصل غالبا للمستعربين من المعجم ، وبين أن أهل الأمصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية ، ومن كان فيهم أبعد عن اللسان العربى كان حصولها له أصعب وأعسر ، وكتب عن انقسام الكلام الى فنى النظم والنثر . وأنه لا تنفق الاجادة في فنى المنظوم والمنثور معا الا للأقل ، وكتب فصلا في صناعة الشعر ووجه تعلمه ، وفي أن صناعة النظم والنثر انما هي في الألفاظ لافى المعانى ، وأن حصول الملكة يكون بكثرة اللفظ وجودتها بجودة المحفوظ ، وختم المقدمة بفصل قيم في الموشحات والأزجال بالأندلس .

وهذه الفصول المتعلقة باللغة والأدب والملكة كتابة علمية جاء فيها بنظريات

حاول التدليل عليها والاحتجاج لها .

المقرئى :

من أهم المؤرخين المسلمين الذين جاءوا بعد ابن خلدون ، وله الفضل الكبير فى تسجيل تاريخ مصر الإسلامية فى مختلف عصورها ، ألف فى تاريخ الفاطميين والأيوبيين والمماليك . وأهميته الكبرى تظهر فى كتابه « المواعظ والاعتبار » بذكر الخطط والآثار « وهو المعروف بخطط المقرئى » وقد دون فيه مصر وأحوالها وسكانها وآثارها وشوارعها ، وجوامعها ، وأسوارها وبلدانها ، وغير ذلك ، وإذا ذكر أثرآ من الآثار أفاض فى تاريخه وما توالى عليه من الأحداث ، وما يتصل به من شئون اجتماعية ، واقتصادية وجغرافية .

وقد تحرر فى كتابته من الأسلوب العلمى الدقيق ، فراه استعمال تعبيرات عامة ، أو آثر الألفاظ المستعملة فى عصره والمصطلحات التى جرى عليها أهل زمانه .

بين التاريخ والأدب

لا شك فى أن الثقافة التاريخية لازمة للأديب يستمد منها فيما يكتب ، ويستعين بها فى تفكيره ، ويقتبس منها الموعظة والعبرة ، ولولا تلك الثقافة التاريخية الواسعة عند شوقى فى الناحية العربية الإسلامية ، والناحية المصرية ما استطاع أن ينشئ قصائده الخالدة فى توت عنخ آمون ، ولا قصيدته الهزبية

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء

ولولا الدراسة التاريخية الطويلة لتاريخ سيدنا عمر بن الخطاب ما استطاع حافظ أن يبدع العمرية ، ولا الشيخ عبد المطلب قصيدته العلوية ، ولولا ثقافة العقاد وقراءته ما استطاع أن يبدع العبقريات ، ولا استطاع هيكى أن يثبت « حياة محمد » ، ولا الفاروق عمر ، ولا الصديق أبو بكر ، ولا طه حسين أن يكتب الفتنة الكبرى فى تاريخ سيدنا عثمان ، ولا جورجى زيدان أن يكتب

رواياته التاريخية المشهورة ، ولا استطاع شكبير أن يكتب رواياته التاريخية من أمثال هنرى الثامن ولا هنرى الرابع والخامس ، ولا استطاع كارليل أن يكتب كتابه « الأبطال » ، ومن هذه الثقافة التاريخية استقى شوقى مسرحياته التاريخية مثل كليوباترا ، وعلى بك الكبير وقيز .

غير أن الأديب غير مقيد بحوادث التاريخ الدقيقة ، فقد اخترع شخصيات في مسرحياته أو رواياته لغاية يراها ، كما اخترع شكبير شخصية سيرجن فولستاف المرحه في مسرحية هنرى الرابع ، وكما ابتدع جورجى زيدان كثيرا من الشخصيات أضافها الى رواياته التاريخية ، وقد رأى شوقى كثيرا ممن كتبوا عن كليوباترا لم ينصفوها . ورأى وهو مصرى أن هذه الملكة مصرية ، وأن الأدب قد ظلمها واقترب عليها ، فكتب مسرحيته لينصفها ، وجعلها مغلصة لعرش مصر وأرض مصر أكثر من اسرافها في شهواتها وجعلها تقول في احدى القطع :

أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجمال

وجعلها تنتحر لأنها تأبى حياة الذل فتقول في نفس القطعة :

حياة الذل تدفع بالمنايا تعالى حية الوادى تعالى

ولم يعترض النقاد على هذه الزيادة في الشخصيات غير التاريخية لأنها تكون لازمة لبيان وجهة نظر ، أو لدفاع عن فكرة .

وخلاصة هذا أن التاريخ مادة خصبة للأديب يستقى منها عناصر أدبه ، ولا بأس به اذا زاد من عنده ما يراه لازما لا تساق مسرحيته أو روايته .

وكتب التاريخ مصدر من مصادر الأدب فقد حوت هذه الكتب أشعارا وخطبا ورسائل لم تحفل بها دواوين أصحابها ، ولم يسطرها مؤرخو الأدب ، وان كتابا مثل تاريخ الطبرى يحوى من ذلك ما تضيق به كتب الأدب ، وقد رجعت الى جبهة خطب العرب لأستاذنا أحمد صفوت ، وكتاب جبهة الرسائل له فوجدته اعتمد في جمع هذه المجموعة على كتب التاريخ من أمثال الطبرى ، ومروج الذهب للمسعودى ، والكامل لابن الأثير .

وقل ان تجد مؤرخا للأدب لم يرجع الى كتب التاريخ ليرى السبب فى اتجاه الأدب تلك الوجهة أو هذه. فهم حين يتكلمون عن أدب العصر العباسى لا ينسون سلطان الفرس فى هذا العصر ، وتأثر الأدب بهذا السلطان فى عهد العباسيين .
و حين يكتبون عن الأدب الأموى ويلاحظون اتجاهه الى المدح والهجاء لا ينسون أثر الخلفاء فى ذلك . فهم كانوا يحبون المدح لأنه دعاية سياسية لهم ، وهو يخلد ذكرهم ويترك لهم أحاديث فى الغابرين ، وهو يرضى هوامهم ، ويعجب أذواقهم .

وكثرة الخطابة فى صدر الاسلام ومخول الشعر أو تأخره عنها فى هذا العصر يعلله التاريخ بشدة الحاجة الى هذه الخطابة فى نشر الدين ، وإثارة الحمية فى نفوس الجنود ، وكثرة المواقف الأخرى التى تدعو اليها فى ميادين القتال ، وفى معاهدات الصلح ، وفى التبشير بالفتوح ، وفى القيام بين يدى الخلفاء فى الوفادات الخ ..

ولا نريد أن ننسى الفرق بين كتب التاريخ فيما تعرضه من نصوص وبين كتب الأدب . فليست غاية كتاب التاريخ أن يعرض قصيدة كاملة لأنه ليس ديوانا للشعر ، وإنما يعرض من نصوص الأدب ما يوافق غايته ، فقد يأتى بأبيات من وسط القصيدة ، وقد يأتى بأبيات غير متتابعة ، ولها فضل فى بيان الوقت الذى قيل فيه النص على وجه التقريب أو التحديد ، وفى توضيح معناه ، وبيان اشاراته والافصاح عن الشخصيات والأماكن والحوادث التى وردت فيها .

ولكن كتب التاريخ تحفظ ما يعنىها ، وكتب الأدب تروى ما يعجبها ويرضيها ، وقد يضع بين هذين قدر كبير من الأدب لم يجد من يهتم بروايته أو تدوينه من المؤرخين أو الرواة .

وقد تجد من كتب التاريخ ما اهتم برواية أدب لولاه ما عاش ، فكتاب ولادة مصر وقضاتها للكندى حفظ لنا كثيراً من الأشعار التاريخية التى قيلت فى عصر العباسيين فى مصر ، سواء آكان قائلوها من المصريين أو من الشعراء الوافدين ،

وذكر تلك الأشعار في المناسبات التاريخية التي قيلت فيها ، كما عرفنا بأسماء شعراء لولاه لم نسمع بهم .

واهتم بشعر القضاة وما قيل فيهم ، ولولاه ما اهتم رواة الأدب به ، فاننا قد لا نجد في كتاب آخر غير الكندي ما نجده فيه من شعر هؤلاء القضاة والظروف التي قيل فيها . وقد جمعت ذلك أو كثيرا منه في كتابي « تاريخ الأدب العربي في مصر » تحت عنوانين الأول : الشعر التاريخي ، والثاني : الشعر القضائي ، وبينت المراد بهذين العنوانين ، وقد رأيت شاعراً مصرياً مثل سعيد ابن كثير بن عفير لم يهتم به أحد كاهتمام الكندي .

وبعض المؤرخين كانوا أدباء يؤرخون العبارات الأدبية العالية أو المرخفة في الكتابة ، فهذا هيروودوت من أوائل مؤرخي اليونان يعد كتابه « أقدم كتاب منشور رائع عرفه الأدب اليوناني » وكتاب كاتو هو « أقدم ما عرف الرومان من النثر الأدبي البارع أيضا » .

وكان المحدثون والقصاص والمؤرخون عند العرب ينشئون نثراً فنياً رائعاً في الأدب العربي حين كانوا يتحدثون الى الناس في المساجد والمجامع والأندية يفعلون ذلك في لغة عذبة سائغة ، فيها رصانة الأسلوب ، وجزالة اللفظ ، ويعتمدون على العقل والخيال في تصوير الحوادث العظام ، والوقائع الهائلة ، وكانت جماهيرهم التي تستمع اليهم تشغف بهذا الأسلوب من الحديث يسجلونه وينقلونه الى من لم يستمع اليه ، وقد يضيفون مكملين أو مصححين لما قد يكون فيه من نقص أو خطأ . فضلا عن كتب التاريخ التي صيغت بالصيغة الأدبية في القديم والحديث .

ولعل التاريخ هو أول فن من فنون النثر الأدبي المكتوب عرفه العرب . « ولو أن باحثاً أراد أن يتخلص وصفا دقيقا للنثر الأدبي التاريخي عند العرب في القرن الأول لما وجد في ذلك مشقة ، وما عليه الا أن يرجع الى كبار كتب التاريخ ليرى فيها اختلاف الأساليب ومذاهب القول من عبارات رصينة ،

متينة اللفظ رائعة شائقة . وخذ مثالا لذلك تاريخ الطبرى والمتعودى والكامل وخذ كتب المحدثين ممن كتبوا فى التاريخ مثل الأستاذ فريد أبى حديد والأستاذ العقاد وخذ كتاب موكب الشمس للدكتور أحمد بدوى مدير جامعة عين شمس الذى يؤثر أسلوب ابن زيدون فى اقتباس العبارات والجمل من الأدب العربى الجزل ، ويقع على عبارات من القرآن أو الشعر من محفوظاته فيدخلها فى ثنايا كتابته فتستقر فى موضعها استقراراً ، ولا يضيّق بها مكانها الذى اختارها نه المؤلف . بل ان كتب التاريخ التى كانت تدرس فى المدارس الثانوية.مثل كتب الأستاذ عمر الاسكندرى وسليم حسن ، وكتب رفعت وحسونة ، وكتب شفيق غربال تمتاز بأسلوب أدبى يجمع بين الدقة وقوة التصوير وسهولة العبارة .

ومن الكتب التاريخية القديمة التى تعد قطعاً أدبية أو نثراً فنياً تاريخ العتبى الذى وضعه أبو النصر العتبى فى تاريخ محمود بن سبكتكين ، وكتاب « الفتح القسى فى الفتح القدسى » الذى ألفه العماد الأصفهانى ، ووصف فيه فتح صلاح الدين لبيت المقدس بعبارة مسجوعة مع اغراق فى استعمال الجناس والتشبيه ، ونحو ذلك مما يتلاءم مع كتابة ذلك العصر وروحه .

أثر الأدب فى التاريخ

إذا كان التاريخ عاملاً من العوامل المؤثرة فى الأدب ، وكان كتاب التاريخ أدباء يمتازون بنهرهم الفنى ، فإن الأدب قد أثر فى التاريخ وغير مجراه فى أحوال متعددة ، وأن كثيراً من الأدباء قد أدركوا ما لهم من المقدرة على تحويل تيار التاريخ وتغيير اتجاهه ، وأول ما نعرف من ذلك فى الأدب العربى القرآن الكريم والرسول العظيم ، فقد كان للقرآن من الأثر فى تحويل العرب من جاهليتهم ، وكان له من الأثر فى نفوسهم ما قالوا عنه انه سحر وانه من وحى الشياطين « وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغى لهم وما يستطيعون » ، وقالوا عنه انه شعر

وكهانة لشدة فعله في نفوسهم ، « وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين » .

وقالوا عن الرسول انه شاعر وكاهن وساحر حين يحدثهم بالقرآن فيصنعهم ويحدثهم بالحديث فيأسر ألبابهم : « بل قالوا أضغاث أحلام ، بل افتراء ، بل هو شاعر » . « وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون » وقالوا « ان هذا الا سحر مفترى » . ولقد شهد له شهادة صادقة أحد أساطين قريش هو عتبة ابن ربيعة : روى أن أبا جهل قال في ملا من قريش : قد التبس علينا أمر محمد ، فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره . فقال عتبة : والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر ، وعلمت من ذلك علما ، وما يخفى على ، فأتاه ، وكلمه وعرض عليه المال والرياسة والنساء ليكف .. فقرأ الرسول عليه من أول سورة فصلت الى قوله تعالى : « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود » فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم أن يكف . وكذلك كان وقع القرآن في نفوسهم . وتأثيره على عواطفهم . حتى غير دينهم وبدل حياتهم ، وأصلح آراءهم ومجتمعهم وتحداهم أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله فمعجزوا ، وانتهى أمرهم الى الهزيمة « ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

وتوفى الرسول الكريم ، ولحق بالرفيق الأعلى ، واجتمع المهاجرون والأنصار بعد وفاته في سقيفة بنى ساعدة بالمدينة ، واختلفوا فيمن يتولى أمرهم بعد الرسول ، فقال أبو بكر خطبة هائلة ، وحدت المسلمين فاجتمعت كلمتهم ، وبايعوه ، فأخذ ييدهم الى النجاة ووحدهم صفوفهم ، ورمى بهم العرب فثابوا الى رشدهم ورجعوا عن ردتهم وأدوا الزكاة .

واختلف معاوية مع علي ، وتحاربا ، والتقت جيوشهما بصفين عدداً من المرات ، وفي ليلة مشهورة تسمى ليلة الهدير ، كاد معاوية يفر من الميدان مهزوماً ولو فعل لما قامت دولة بنى أمية ولا سمع بها التاريخ ، ولكن آياتاً من الشعر

مرت بخاطره ورواها فثبت في المعركة ، وانهى الأمر بتغلبه على جيوش علي ،
وآلت اليه الخلافة بسبب ذلك : يقول مينا أثر الشعر على دولته :

اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر دأبكم ، فلقد رأيتني ليلة الهدير بصفين
وقد آتيت بفرس أغر محجل ، بعيد البطن من الأرض ، وأنا أريد الهرب لشدة
البلوى ، فما حملني على الثبات الا آيات عمرو بن الاطنابة :

أبت لي هستى وأبى بلائى	وأخذى الحمد بالشمع الريح
واقدامى على المكروه تضى	وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلنا جشأت وجاشت	مكانك تحمدى أو تستريحي
لادفع عن مآثر صالحات	وأحمى بعد عن عرض صحيح

فتغير وجه التاريخ بهذه الآيات ، وكانت سبباً في قيام دولة بنى أمية في
الشرق من سنة ٤٠ - سنة ١٣٢ هـ .

وكان للشعر أثر في نظام الوراثة في عهد بنى أمية ، أو للأدب بوجه عام ،
فان معاوية لما أراد أن يبايع لابنه يزيد بالخلافة من بعده حشد الخطباء في الأمصار ،
وأوعز الى الولاة أن يستمعوا بالأدب على ذلك ، وأوعز معاوية الى مسكين
الدارمي أن يقول أبياتاً في البيعة ليزيد ووجوه بنى أمية عنده تؤيد هذه البيعة
ويكون فيها معنى الالتزام للحاضرين . فلما اجتمع عنده من أعيان بنى أمية ،
عبد الله بن عامر ، ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص وأشرف الناس ، قام
مسكين فأنشد قصيدة منها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر	ومروان أم ماذا يقول سعيد
بنى خلفاء مهلاً فانما	يوئها الرحمن حيث يريد
اذا المنير الغربي خلاه ربه	فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الغربي والحد صاعد	لكل أناس طائر وجدود
فلا زلت أعلى الناس كعباً ولا تزل	وفود تسامها اليك وفود

ولا زلت بيت الملك فوقك عالياً تشيد أطناب له وعمرد
قدور ابن حرب كالجوابى وتحتها أئاف كأمثال الرئال وقود
فقال معاوية تنظر فيما قلت يا مسكين ومنتخير الله ، فلم يتكلم أحد من
الحاضرين الا بالاقرار والموافقة ووصله معاوية ، ووصله يزيد .

وعرف خلفاء بنى أمية من بعده أثر الشعر في مثل هذا الموقف ، فان مروان
ابن الحكم كان قد عهد بالخلافة من بعده لابنه عبد الملك ثم لابنه عبد العزيز من
بعده . ولكن عبد الملك أراد أن يجعل ولاية العهد من بعده لابنه الوليد ،
فأوحى الى نابغة بنى شيبان أن يدعو الى ذلك ويؤيد الدعوة ، فقال شعراً منه :

لابنك أولى بمملك والده ونجم من قد عصاك مطّرح
داود عدل" فاحكم بسنته ثم ابن حرب فانهم نصحوا

ولكن عبد العزيز مات قبل عبد الملك فسقطت المعارضة في البيعة للوليد ،
وأصبح ولياً لعهد المسلمين وخليفة من بعد أبيه ، وفعل الوليد فعل أبيه فأراد
أن يخلع أخاه سليمان بن عبد الملك من ولاية العهد ويجعلها في ابنه عبد العزيز
فاستعان بالشعراء ، وقال جرير :

إذا قيل أى الناس خير خليفة أشارت الى عبد العزيز الأصابع
رأوه أحق الناس كلهمو بها وما ظلموا ان بايعوه وسارعوا

وإذا أخفق الشعر في تغيير ولاية العهد في هاتين المرتين فليس ذلك لعيب
فيه ، وإنما حدثت ظروف أخرى ءاقتته عن الوصول الى غايته .

ومن ثقة الأدب بنفسه ، وقدرته على تسكين الفتن أن الحجاج بن يوسف ،
وهو وال على العراق خطب خطبته الأولى المشهورة فأخضع الناس لرأيه ،
وخرجوا مسرعين الى محاربة الخوارج مع المهلب بن أبي صفرة ، وبلغه أن قوماً
من الأعراب خرجوا يفسدون الطريق . فكتب اليهم رسالة يقول فيها مهدداً :

« والله انى لأهم أن يكون أول ما يرد عليكم من قبلى خيل تنسف الطارف
والتالد ، وتدع النساء أيامى والأبناء يتامى ، والديار خراباً ، والسواد بياضاً »

فلما جاءهم كتابه كفوا عن قطع الطريق .

وفي آخر عهد بنى أمية كان عبد الحميد بن يحيى رئيس الكتاب وامامهم ، وخرحت المسودة من خراسان تريد المشرق بقيادة أبى مسلم الخراسانى ، فأراد عبد الحميد أن يتعين بالأدب ليغير وجه التاريخ فكتب الى أبى مسلم كتاباً يستجلبه به ، وقال لمروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، « لقد كتبت اليه كتاباً متى قرأه بطل تدييره ، فان يك ذاك ، والا فالهلاك » ، وكان الكتاب لكبر حجمه يحمل على جل ، فلما وصل الكتاب الى أبى مسلم أمر باحراقه وكتب على قصاصة منه الى مروان :

عما السيف أسطار البلاغة واتتحي عليك ليوث الغاب من كل جانب
فأفسد تدييره ، واستمر في طريقة حتى أزال ملك بنى أمية .

والذين درسوا تاريخ النهضة الحديثة في أوروبا المعروفة بالرئصائص Renaissance أو الاحياء يعرفون أن من أهم عوامل هذه النهضة التى أخرجت أوروبا من الظلمات الى النور ، وانتقلت بها من ظلام القرون الوسطى كان احياء الآداب والمعارف اليونانية والرومانية .

ولملك لا تجد ثورة في القديم والحديث الا وجدت وراءها نوعا من أنواعا الأدب يهيم الأذهان والنفوس لها ويحصل الجماعات حملا عليها . فالثورة الفرنسية قد سبقتها كتابات فولتير وروسو . وثورتنا المصرية على الانجليز سنة ١٩١٩ ، كان يوقد نارها خطباء مصاقع ، وثورة الجيش الظافر المنصور كانت وراءها منشورات الضباط الأحرار ومقالات في الصحف وروايات تهيم لها الأذهان ، وكان النصر في بور سعيد بعد خطبة الرئيس ناصر ، التى أعلن فيها أننا نحارب من يحاربنا ، ونسلم من يسالمنا ونعادي من يعاديننا . فكانت خطبه في تلك الفترة دعماً لايامتنا وتقوية لقلوبنا ، وثبتت ليقيننا ، وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم .